تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها تعالى كما ذكر ا D عنهم في سورة الأنعام في قوله تبارك وتعالى : { وجعلوا مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى ا وما كان فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون } وكذلك جعلوا له في قسمي البنات والبنين أخسهما وأردأهما وهو البنات كما قال تعالى : { ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذا قسمة ضيزى } وقال جل وعلا ههنا : { وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين } ثم قال جل وعلا : { أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين } وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار ثم ذكر تمام الإنكار فقال جلت عظمته { وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم } أي إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه من البنات يأنف من ذلك غاية الأنفة وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به ويتوارى من القوم من خجله من ذلك يقول تبارك وتعالى : فكيف تأنفون من ذلك وتنسبونه إلى ا D ثم قال سبحانه وتعالى : { أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين } أي المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة وإذا خاصمت فلا عبارة لها بل هي عاجزة عيية أومن يكون هكذا ينسب إلى جناب ا العظيم فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعنى فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه ليجبر ما فيها من نقص كما قال بعض شعراء العرب : .

وما الحلي إلا زينة من نقيصة يتمم من حسن إذا الحسن قصرا .

وأما إذا كان الجمال موفرا كحسنك لم يحتج إلى أن يزورا .

وأما نقص معناها فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار لا عبارة لها ولا همة كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت : ما هي بنعم الولد نصرها بكاء وبرها سرقة وقوله تبارك وتعالى : { وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا } أي اعتقدوا فيهم ذلك فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك فقال : { أشهدوا خلقهم } أي شاهدوه وقد خلقهم ا إناثا { ستكتب شهادتهم } أي بذلك { ويسألون } عن ذلك يوم القيامة وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد { وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم } أي لو أراد ا لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام التي هي على صور الملائكة التي هي بنات ا فإنه عالم بذلك وهو يقرنا عليه فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ : .

(أحدها) جعلهم تعالى ولدا تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا .

(الثاني) دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن

إناثا .

(الثالث) عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا إذن من ا D بل بمجرد الاراء والأهواء والتقليد للأسلاف والكبراء والاباء والخبط في الجاهلية الجهلاء .

(الرابع) احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدرا وقد جهلوا في هذا الإحتجاج جهلا كبيرا فإنه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار فإنه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه قال تعالى : { ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا ا واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى ا ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين } وقال D : { واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون } وقال جل وعلا في هذه الاية بعد أن ذكر حجتهم هذه : { ما لهم بذلك من علم } أي بصحة ما قالوه واحتجوا به { إن هم إلا يخرصون } أي يكذبون ويتقولون وقال مجاهد في قوله تعالى : { ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون } يعني ما يعلمون قدرة ا تبارك وتعالى على ذلك